مجلة آفاق سينمائية | عدد خاص: السينما والأوبئة | السنة: فيفري 2021 | ص – ص : 328–345

السينما الأمريكية وصناعة الخوف العالمي من الأوبئة

American cinema and the creation of global fear of pandemic

الإسم الكامل للباحث: بوخاري مليكة

المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام الجزائر العاصمة /الجزائر

boukhariensjsi@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/23 تاريخ القبول: 2021/02/09 تاريخ النشر: 2021/02/17

ملخص: تعد السينما الأمريكية من بين أهم فواعل القوة الناعمة في العالم، وتستند هذه السينما لموارد مالية، مادية وبشرية تجعلها تصنف في الريادة دوماً، وتتنوع المواضيع التي تتناولها السينما الأمريكية في مجالات مختلفة ولكنها تركز بشكل واضح على صناعة صورة العدو التي تتغير بحسب الظروف السياسية التي تدفع بالسينما الأمريكية للواجهة كمسوق للرؤية الأمريكية، فبعد أن كان العدو هو الفيتنام، الاتحاد السوفياتي، العراق، أفغانستان وغيرها من الدول التي تتصارع سياسيا مع الولايات المتحدة الأمريكية تنتقل لإيجاد عدو طبيعي كالأعاصير والزلازل، وصولاً للعدو الفيروسي الذي سنتناوله في هذا المقال، وبعدها العدو الميت أو ما يسمى بالزمبي أو حتى الكائنات الفضائية والتي هي عدو قديم في السينما الأمريكية، وبالعودة للعدو الفيروسي فإن هناك تركيزاً في تصوير الأوبئة والفيروسات كخطر عالمي قاتل يصاغ في إطار درامي عاطفي مشوق.

وهو ما تبيناه في هذه الدراسة والتي تبين كيفية صناعة العدو الفيروسي والذي يهدد العالم ككل وكيف تستثمر في صناعة الخوف العالمي والذي في النهاية ينقذه البطل الأمريكي ككل مرة.

كلمات مفتاحية: السينما الأمريكية، الوهم، الخوف، الأوبئة، الصناعة السينمائية.

✶ **المؤلف المرسل: بوخاري مليكة:** boukhariensjsi@yahoo.com

Abstract :
American cinema is among the most important actors of soft power in the world, this cinema is based on financial, material and human resources that make it always classified as a pioneer, and the topics covered by American cinema vary in different fields, however it clearly focuses on making the image of the enemy that changes according to political circumstances that pushes American cinema to the forefront as a marketer of the American vision, after the enemy was Vietnam, the Soviet Union, Iraq, Afghanistan and other countries that are politically conflict with the United States of America, moving to find a natural enemy such as hurricanes and earthquakes, to the viral kit that we will tackle in this article, and then the enemy The dead, or the so-called zombie, or even aliens, which are an old enemy in American cinema, and by returning to the viral enemy, there is a focus on depicting epidemics and viruses as a deadly global threat framed in an interesting emotional drama.
This is what we found in this study, which shows how to create the viral enemy that threatens the world as a whole and how to invest in creating global fear, which in the end the American hero saves him as a whole.
Key words: American cinema, illusion, fear, epidemics, the motion picture industry.

1. مقدمة:

إن حالة الخوف والهلع التي تلت انتشار "وباء كورونا" في العالم وتوقف الاقتصاد العالمي وكذا احتجاز الملايير في منازلهم كان متوقعا بالنظر للتركيز الإعلامي الكبير على هذا "الفيروس الجديد" الذي حصد الأرواح في مختلف بلدان العالم، فالتهويل الإخباري الذي سبقه بناء سينمائيٌ لحالات وبائية قاتلة قد تجتاح العالم أو اجتاحته سابقاً جعل "المتلقي" يشعر بأن هذا الفيروس هو فيروس فتاك للبشرية فمن خلال الخبرات المكتسبة عنده عبر التدفق المعلوماتي بشكل عام و مشاهدة الأفلام السينمائية التي تكون عبر قاعات السينما أو عبر التلفزيونات بشكل خاص، وهو ما يحيلنا لحقيقة سوسيولوجيا السينما التي تحدث عنها بيار سورلان في كتابه سوسيولوجيا السينما إذ يوضح حقيقة الأفلام السينمائية والتي لا تنقل الواقع

بالضرورة وإنما تكون موجة لجمهور معين بسمات اجتماعية" فالفيلم السينمائي ليس قصةً أو استنتاجاً للواقع بل هو إخراج سينمائي اجتماعي"[1] .

وعلى الرغم من وجود حالات سابقة لفيروسات أخرى أصابت البشرية في سنوات قريبة كأنفلونزا الطيور، والخنازير وكذا فيروس **سارس** إلا أنَّ اللاوعي الإنساني الذي يبني مخاوفه على ما شاهده سابقا يجعل من فيروس كورونا الخطر المخيف الذي يهدد البشرية وتحاربه أعتا الدول وأضعفها أيضا فالخوف من المجهول، الأوبئة والأمراض هو خوف مبرر لأنه يفسر ضمن مشاعر الفطرة الإنسانية التي تصنف هذا الشعور الإنساني بقائمة المشاعر الإنسانية خاصة إذا ما تم تغذية هذا الخوف عبر "الصورة" أي الأفلام السينمائية إذ تقدم لك كل الاحتمالات الممكنة في حالة ما إذا انتشر فيروس معين في العالم فتكون هواجس البشر مؤسسةٌ على ما سبق مشاهدته من خلال الأفلام وعبر وسائل الإعلام والاتصال بشكل عام "إذ يعتبر الخوف ظاهرة مبنية في الحياة ذاتها مثل الحالات والمشاعر النفسية الاجتماعية المتعددة كالقلق والتوتر والإحباط والجرأة والحماس والشجاعة، ولكن من هذه السمات معنى وحالة خاصة يميزها، والخوف انفعال من جملة العناصر الأخرى التي تشكل مزاج الإنسان وتحكم نفسيته"[2]، هذا الخوف لمسه كل العالم من خلال الإجراءات التي فرضتها الدول على شعوبها وكيف تم تطبيقها بشكل صارم من طرف أغلب الشعوب في بدايات ظهور الفيروس الجديد وإلا كيف نفسر انصياع ملايين الشعوب لإجراءات الغلق والحضر المنزلي الإجباري، من جهة أخرى غذَّت وسائل الإعلام بشكل عام هذا الخوف والارتباك سواء على مستوى القنوات الإخبارية أو حتى الأفلام السينمائية التي تصنع الخوف ببناء درامي تستنطقه عبر "الصورة الفيلمية المتحركة "ودلالات الخوف والرعب وهو ما يميز اللغة السينمائية والتي تحمل دلالات متعددة تفسر سيميولوجياً.

المفارقة أن عدد وفيات فيروس كورونا ومنذ ظهوره لبدايات سنة 2021 لم يتجاوز 2 مليون وفاة حسب جل الإحصائيات المقدمة عالمياً في حين أنَّ اليونسكو تسجل يوميا وفاة 14000 طفل نتيجة نقص في اللقاحات، لكن هذا كموضوع لا يتم تناوله سينمائيا باستثناء الأفلام الملتزمة التي تعالج مواضيع كهذه (وهي عادة لا تحقق أرباحاً مادية) أو الأفلام الوثائقية التي تنجزها بعض المنظمات غير الحكومية وهو عكس ما تهدف له السينما

التجارية التي تريد تحقيق هدفها المالي وأهدافاً أخرى متعلقة بالصناعة الثقافية أو الهيمنة الثقافية بتعبير أدق.

وللسينما الأمريكية دورٌ كبيرٌ في صناعةِ هذا الفزع العالمي والخوف من انتشار "الوباء" بشكل عام باعتبارها كأحد أقوى الصناعات السينمائية والصناعة الإعلامية بشكل أشمل "إذ تعد الصناعة الإعلامية إحدى أهم صادرات أمريكا المهمة للعالم بالرغم من أنها تمتلك سوقا محلية ضخمة (...) ففي عام 1992 بلغ إجمالي صادراتها حوالي 300 مليار دولار"[3]، وتسعى من خلال هذه الصناعة للترويج لعقيدتها التي ترتبط بالأمن القومي دائماً.

ومن خلال ما سبق ذكره نطرح سؤال الإشكالية التالي:

كيف تساهم السينما الأمريكية في تقديم عقيدة الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة والتفوق من خلال أفلام الأوبئة؟

ونهدف من خلال الدراسة لتوضيح الدور القوي الذي تلعبه السينما الأمريكية في حياكة الواقع وكذا في صناعة الوهم لدى الجماهيري العريضة التي يمارس عليها نوع من أنواع الدعاية المقدمة في شكل درامي عاطفي مقنع يجعل المشاهد يتقبل هذه الأفكار دون نقاش لاسيما وأنَّ الصناعة السينمائية الأمريكية تعد من بين أكبر وأهم الصناعات العالمية إذ نجد " أن الأفلام والبرامج الأمريكية تعرض في أكثر من 110 دولة وتأتي تلك البرامج من 160 شركة أمريكية تسوق هذه البرامج ومن أشهرها شركات كولومبيا، بارامونت، مترو غولدن، يونفرسال، الشركة الوطنية شركة نيت، وغيرها من الشركات"[4].

كما نسعى من خلال المقال لتقديم رؤية حول تعدد "**مفهوم العدو**" في السينما الأمريكية فالعدو متعدد الأشكال وليس ثابت في السينما الأمريكية بما فيه العدو الفيروسي الذي زادت حِدَّتُ تصنيفه ضمن قائمة أعداء أمريكا لاسيما مع موجات الفيروسات الجديدة التي تواجهها البشرية كما هو الحال مع فيروس **كورونا** الذي جعل العالم في حالة شللٍ تام.

واعتمدنا على المنهج الوصفي والتاريخي في صياغة الدراسة بالنظر للتتبع التاريخي الذي اعتمدناها حول السينما الأمريكية وكذا التوصيف لظاهرة تقاطع الأفلام السينمائية مع السياسة العامة الأمريكية في الهيمنة على الصناعات الإعلامية في العالم .

1- وسائل الإعلام وصناعة الواقع والخيال:

إنَّ التأثير الكبير لوسائل الإعلام والاتصال عامة والتي تمارس سلطة على المشاهد عادة، فتدفعه نحو حقائق تُصَنَّعُ بصرياً من خلال المحتوى الذي يقدم في شكله النهائي الكامل في شكل فيلم يعتمد على شتى أساليب الإقناع الممكنة والخيالية لتمرير إيديولوجيا معينة تحقق أهدافاً مخططٌ لها بشكل دقيقٍ جداً فتعتمد على التقنيات الحديثة في الإبهار البصري المعتمد على التكنولوجيا التي تملكها وتصدرها الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما في الصناعات السينمائية.

وتقوم السينما بهذا الدور بشكل لافت للانتباه لاسيما وأنَّ السينما تعد كأداة اتصالية ثقيلة تساهم في بناء الذاكرة البصرية للمتلقي وجعله يقتنع من خلال الصورة والشفرات والرموز التي توظف في مشاهد الفيلم لتبني وجهة نظر المخرج وكاتب السيناريو ومن ورائهما المنتج ففي النهاية الفيلم هو ابن المخرج الذي يعمل على توافق إيديولوجيا وأفكار الفيلم مع ما يهدف إليه "حيث تعتمد السينما في لغتها على الصورة في تمرير الرسائل البصرية بشكل واضح وجلي بالإضافة لباقي الشفرات التي تكَّوِنُ في مجملها اللغة السينمائية كالحوار والديكور وحركات الكاميرا والبناء الدرامي، واختيارات المخرج لزوايا التصوير فالفيلم هو بالأساس ابن المخرج، وتكون الصورة المادة الأساسية للغة السينمائية، فهي المادة الخام الفيلمية، وإن كانت مع ذلك حقيقة معقدة للغاية، ذلك أنَّ تكوينها يتميز بتراكيب عميقة قادرة على نقل الواقع الذي يعرض عليها نقلاً دقيقاً، ذلك أن النشاط موجه من الناحية الجمالية في الاتجاه المحدد الذي يريده المخرج، والصورة التي نحصل عليها بهذه الطريقة تدخل في علاقة جدلية مع الجمهور الذي تقدم له، وأثرها السيكولوجي عليه يحدده عدد من الخصائص ينبغي تحديدها بدقة إذا أردنا تكوين فكره دقيقة عن أهمية الفيلم في الحياة الاجتماعية"[5].

إنَّ التأثير الذي تمارسه هذه الوسائل السمعية البصرية والتي تعتمد على الصورة تتجلى تأثيراته في عديد الحوادث التي سجلَّها التاريخ كهروب الناس من قاعة السينما حينما شاهدوا لأول مرة في التاريخ أول فيلم سينمائي 1897 والذي كان يصور دخول "القطار المحطة" وبما أنهم لأول مرة يشاهدون ذلك فإن ردة فعلهم توضح قدرة الإقناع التي مارسها عليهم الفيلم ما جعلهم في النهاية يفرون خوفاً من القطار فرغم أنهم لم يكونوا في محطة قطار إلا أنَّ هذا الواقع الجديد بالنسبة لهم صنعته السينما "فالخوف نفسياً ظاهرة فطرية، أي يمكن القول مجازاً أن الإنسان خائف بطبعه" [6]، خاصة لما تقدم له المضامين بشكل مقنع.

ويقول"فيروباخ في سياق آخر أنَّ العالم المعاصر يفضل الصورة على الشيء والنسخة على الأصل ويقدس الوهم على الواقع"[7]، وهو تماما ما تقدمه أغلب أفلام السينما بما فيها الأفلام التاريخية التي تحاكي حقباً ماضية أو حتى التي تتحدث عن الأوبئة التي أصابت البشرية، ونذكر التأثير الكبير لمختلف وسائل الاتصال بحادثة غزو الفضائيين للولايات المتحدة الأمريكية وكيفية إعلان الخبر عبر الإذاعة وحالة الهلع التي حدثت نتيجة ذلك وهذا جزء من تصديق الأفراد لما تقدمه وسائل الإعلام بشكل عام وتؤثر في تفريقه بين الواقع والخيال فكيف إذا يكون تأثير السينما والأفلام التي تنجز بملايين الدولارات وتحقق مداخيل خيالية وبالاستعانة بالصورة الفيلمية المحملة ضمنياً برسائل متعددة ومع القوة الأمريكية في مجال هذه الصناعة ففي 2016 حققت مبيعات التذاكر لأفلام السينما حول العالم قرابة الـ40 مليار دولار كعائدات، وحققت الأفلام الأمريكية وحدها 11 مليار دولار في أمريكا وكندا، فضلًا عما حققته في باقي بلدان العالم (....) وتحقق الأفلام الأمريكية في المتوسط 60% من عائدات شباك التذاكر من داخل الولايات المتحدة و40% من خارجها"[8]، مداخيل كبيرة جداً تجعل من السينما الأمريكية من بين أهم الفواعل التي تعتمدها الولايات المتحدة الأمريكية في المداخيل المالية وكذا في الترويج لأفكارها ونظرتها الإيديولوجية التي تسعى لتطبيقها لاحقاً على أرض الواقع ولتحقق الهيمنة المنشودة المرسخة في عقيدتها "فحلم الاضطلاع بدور عظيم على المسرح العالمي عميق في الجذور في الشخصية الأمريكية، وقد ظلَّ الأمريكيون جميعا مؤمنون "بالأقدار العظيمة لأمتهم العظيمة" وقد ولدَّت الولايات

المتحدة الأمريكية على الدوام في نظر قادتها حسب روبرت كيغان "جينيا لإمبراطورية عظيمة"[9]

إنَّ وسائل الإعلام السمعية البصرية عامة تنتظر من المتفرج أن يتقبل حلولها واقتراحاتها وتنتظر منه أن يقبل المحتوى الفكري دون الدفع به نحو طرح التساؤلات والإشكالات وتوظيفها في مختلف المراحل لتحقيق الأهداف أيضاً مثل ما كان من توظيف لصور الأطفال الرضع في العراق، والذين حسب الرواية الأمريكية قتلوا من طرف الجنود العراقيين وهي الصورة التي وظفَّها جورج والكر بوش لأكثر من 50 مرة قبل احتلال العراق عبر مختلف القنوات، وكذا مشاهد القوات الأمريكية وهي تقتحم مبنى السفارة في الكويت ليتبين لاحقاً أنَّها مجرد تمثيلية تريد أن تصنع واقعاً يصدقه المتلقي واتضح في النهاية أنه مجرد تلفيق لتبرير تدمير العراق.

2- نبذة عن السينما الأمريكية وموضوع الأوبئة والفيروسات:

"يقول المخرج الأمريكي الشهير فرانك كابرا إن "الفيلم هو واحد من ثلاث لغات عالمية، مع الرياضيات والموسيقى لكن ورغم أهمية القوة الناعمة للسينما والتلفزيون، فإن ثمة قوة اقتصادية لا يُستهان بها للصناعة، وبحسب موقع اتحاد أفلام الحركة في أميركا Motion Picture Association of America، والمكون من عدد من عمالقة صناعة السينما في هوليوود، فإن الاتحاد وحده يسهم في توفير مداخيل سنوية تقدر بنحو 49 مليار دولار لملايين الأشخاص في الولايات المتحدة "[10]، هذه الأرقام الخيالية توضح وتؤكد أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر السينما واحداً من أهم المقطورات الصناعية والتي تدرُ على الدولة أرباحاً خيالية من الضرائب وغيرها من المداخيل ولتحقق ما سبق ذكره يجب أن يكون المحتوى قوي ومقنع حتى يكون مطلوبا محلياً ودولياً، لذا نلاحظ أنَّ تنوع وتعدد المواضيع في السينما الأمريكية جعلها تكون رائدة ومتجددة وبإمكانيات ضخمة سواء مادية أو بشرية، ويضاف لما ذكر محاولة تمرير أفكار العقيدة الأمريكية للهيمنة بمختلف الوسائل والطرق بما فيها الصناعة السينمائية فالبطل الذي ينقذ العالم دائما هو من جنسية أمريكية ووويأخذ على عاتقه دور البطل المطلق والذي لا يقهره اي عدو مهما كانت طبيعة هذا العدو وهو جزء من الرؤية الأمريكية للعظمة العالمية والريادة.

وعرفت السينما الأمريكية مواكبة حثيثة للمواضيع التي يعتقد أنها تهم المجتمع "فتراوحت مواضيع الأفلام في السينما الأمريكية وعلى فترات مختلفة تستدعي كل فترة ظهور وتطور نوع معين من الأفلام ففي بداية الثلاثينات عمت أفلام الرعب، أفلام العصابات، الأفلام الموسيقية، وصولا للأربعينات حيث ظهرت أفلام الدعاية العسكرية وبعد الخمسينات اجتاحت أفلام السود السينما الأمريكية، ثم أفلام الوستارن، والميلودراما العائلية، والكوميديا الموسيقية، الأفلام الشعرية وغيرها من الأنواع التي تطورت بحسب الظروف المحيطة"[11]، وهذا التطور كما ذكرنا آنفاً لم يتوقف عند هذه المواضيع بل بقي يستمر شكلاً ومضموناً تقنياً وتطويراً أيضاً لأساليب الإقناع "فالسينما هي وسيلة إعلامية جماهيرية للتوجيه والإقناع والتثقيف والتعليم، ويمكن أن تكون وسيلة هدم جماهيري أو فساد شعبي لو أسيئ استخدامها مفسد مضمونها"[12]

وعكفت السينما الأمريكية على تناول مواضيع الفيروسات والوحوش المتحولة منذ الستينات والسبعينات من القرن الماضي "وبالطبع لم تقف السينما العالمية خاصة السينما الأميركية صامتة تجاه ظهور الأمراض المختلفة، بل ذهبت تعبر عنها بأشكال مختلفة تطورت مع تطور صناعة السينما، فأحيانًا كانت تستند قصص الأفلام إلى واقعة حقيقية، يعيد كتاب السيناريو صياغتها بشكل درامي فني، ويقدمونها للجمهور بعيدًا عن مفهوم التوعية والتحذير، وأحيانًا يأخذ كتّاب السيناريو الحدث الأكبر، وهو الحديث عن وباء أو مرض ما، لكنهم يصفون نوع هذا المرض بتخيلهم وأفكارهم، بل يقدمون الحل أحيانًا لمواجهة هذا الوباء المصطنع"[13]، فالتاريخ بات يكتب عبر شاشات السينما.

كما اعتمدت في طيات تقديمها للأفلام التي تتناول الوحوش على نقد الرأسمالية المتوحشة التي تحول الناس لوحوش "فكانت هذه الأفلام التي تنتقد المجتمع كأفلام جورج روميرو لفيلمه ليلة الحياة والموت1968، وفيلم أسفل من القتلى 1979، ويوم الموت 1985، حيث تدور أحداث هذه الأفلام حول تحول الناس لوحوش... وأما أفلام الوحوش المتحولة فتطرح فكرة أن الرأسمالية والعلوم يمكن أن تتسبب في إحداث آثارٍ خطيرةً على الفرد والطبيعة وطرح فكرة غزو كائن فضائي لمركبة فضائية ويتمكن من الدخول في أجساد رواد المركبة في فيلمه scott1979. "[14]

3-مفهوم العدو في السينما الأمريكية من الاتحاد السوفيات إلى الزومبي الرجل الميت الحي:

تعتمد صناعة الأفلام السينمائية الأمريكية على عقيدة راسخة وهي صناعة العدو الذي يجب مجابهته، فبعد الحرب الباردة اختفى العدو السوفياتي من السينما الأمريكية وعوّض بأعداء آخرين، فالعدو هو ما تبنى عليه أغلب قصص السينما الأمريكية التجارية والإيديولوجية والتي تتصدر تصنيفات الأفلام في شبابيك التذاكر عالمياً وتخصص لهذه الصناعة ملايين الدولارات، وتتوافق مع ما يعتبر ويصنف ضمن خانة الأمن القومي وهو تصور يعود لعشرات السنين وليس وليد الصدفة "فلقد أكدت الرسالة التي بعثها روزفلت إلى رئيس المكتب بويل مولي هذا الواقع حيث ورد فيها يجب أن تبقى السينما حرة في حدود ما يسمح به الأمن القومي، لا أريد الرقابة ولا المضايقات سوى التي تمليها الحاجة الأمنية، كما حدد في هذه الرسالة ثلاث وظائف أساسية للوكالة الحكومية الجديدة هي الربط بين هوليود وواشنطن، إعلام وتوعية وتربية للجمهور الأمريكي والسهر على أفلام تساهم في المجهود الوطني بطريقة ناجعة"[15].

ومن خلال تتبعنا لعشرات الأفلام الأمريكية لاحظنا أن فكرة العدو دائما حاضرة سواء كانت مرتبطة ببلد أو بأشخاص أو بدين "كالدين الإسلامي" مثلا والذي تقاد ضده حملة سينمائية لتنميطه وتشويهه".

العدو في السينما الأمريكية لا يقتصر على ما سبق ذكره بل حتى على الكوارث الطبيعية الطبيعة كالأعاصير، الفيضانات والبراكين " ففي سنة 1976 تصدرت أربع أفلام من أصل عشرون فيلما التصنيفات وكلها تدور حول الكوارث الطبيعية التي تضرب الولايات المتحدة الأمريكية وبناؤها اعتمد على السرد البسيط والذي يبدأ من الهدوء نحو الفوضى لتتلخص الأمور في منقذ يضع نهاية وحد لهذه الكارثة الطبيعية."[16]، وهو ما بات ميزة وصفة في السينما الأمريكية والتي تعتمد على النهايات السعيدة وعلى البطل الأمريكي مهما كانت طبيعة العدو.

كما تشكل الفيروسات والأمراض والأوبئة مواضيع للأفلام الأمريكية والتي تصور حالات الأوبئة المنتشرة في العالم والتي عاشتها البشرية كالفيروسات الحقيقية مثل أنفلونزا الخنازير أو فيروس سارس أو الفيروسات الخيالية التي يبتدعها كتَّاب السيناريو كالأموات الأحياء "الزومبي" أو كائنات فضائية وغيرها من قائمة الأعداء الذين يهددون أمريكا والعالم،" وتعد أمراض الحروب والفواحش من أهم الأمراض التي أخذتها السينما العالمية مصدرًا ملهمًا لها في العديد من أفلامها، فمعظم الأوبئة التي ظهرت منذ حوالي خمسة قرون، كانتشار الدعارة في أنحاء العالم الذي يعتبر السبب الأساسي لولادتها، من أهمها مرض الطاعون الذي قضى على نصف سكان العالم تقريبًا منذ ظهوره والى الآن، واستحداثًا لهذا النوع من الأمراض، أمراض الفواحش، نشهد حاليا انتشارًا كبيرًا لمرض نقص المناعة المكتسبة الإيدز في كل دول العالم، وفيما فشلت الطرق العادية في التصدي لهذا المرض، فاستعرضت السينما العالمية هذا المرض بطريقة غير مباشرة."[17]، ويعتقد صناع السينما أنهم بهذا يساهمون في التوعية من فقدان المناعة المكسب وكذا من الفيروسات التي تهدد حياة الإنسان.

4-نماذج من أفلام الفيروسات وصناعة الخوف:

4-1 الفيروسات الخيالية:

من جهة أخرى تتناول السينما الأمريكية نماذجا لفيروسات خيالية تهدد البشرية سواء مجهولة المصدر أو تم تصنيعها وتعمل على استحداث تغيرات جينية في الإنسان مثل ما عرض في فيلم "i am a legend " بطولة ويل سميث وإخراج ريشار ماتيسن سنة 2007 والذي له ميزانية 159 مليون دولار وحقق أرباحاً تجاوزت 585 مليون دولار(هكذا ميزانية وهكذا أرقام تفسر أن هذه الأفلام تلاقي رواجاً كبيراً في كل أنحاء العالم) ويحكي الفيلم قصة البطل(البطل الأمريكي على أرض أمريكية) الذي يعمل وحيداً على محاربة وإيجاد مضاد حيوي لمعالجة البشرية من فيروس غريب حوَّل البشر لوحوش لا تشبه الآدميين في قالب درامي عاطفي(حيث يفقد البطل زوجته التي تتحول لوحش ويسعى لمداواتها) ذو صبغة مغامرتية طوال مشاهد الفيلم وهو ما تعتمده دوما السينما الأمريكية في أفلامها" فالروائي يجنح للخيال في نقله للحدث الواقعي، مما يوفر له مساحات اشتغال فنية وجمالية تساعده

على تحقيقها المؤثرات الخارجية، وغالبا ما تسهم في تصعيد وتيرة أحداث القصص المنقولة على الشاشة، وتزيد من درجة تفاعل المتفرج معها"[18] لاسيما وأنَّ القصة المقدمة عبر الفيلم عبارة عن متتاليات منتظمة برسائل ضمنية" فالفيلم هو تتابع للصور يعني تسلسل خطي منطقي العناصر والتي هي في حد ذاتها رسائل عامة تقترح قراءة مستعرضة.... كما أن صور الفيلم تحتوي على ما هو "مرئي"[19]، وتعمل في ذات السياق هذه الصور الفيلمية على صناعة الوهم الواقعي باستحداث عدو أو خطر ممكن أن يظهر وينتشر في كل العالم ولو كان خيالياً، فالقصة المطروحة في حد ذاتها تحاكي الحياة الإنسانية في الكثير من جزئياتها التي يرى فيها الفرد نفسه فيتجسد في تفاصيل البطل ويتفاعل بشكل انفعالي مع الأحداث التي يرسمها سيناريو الفيلم عبر الدلالات السيميولوجية الموظفة بفضل اللغة السينمائية التي أشرنا لها سابقاً "فالفيلم السينمائي ينتج المعاني إضافة إلى أنه إنتاج ثقافي يعكس توجهات وميولات وانتماءات جماعة اجتماعية معينة، وهو منتج بشكل جماعي تعاوني (...) فلا ينتج الفيلم فقط المعنى فهو إنتاج ثقافي مصنوع من طرف الجماعة المنضوية بدورها داخل مجموعة لها إستراتيجيتها في العلاقة مع الوسط والجمهور والتشكيلة الاجتماعية"[20]، يعني كل ما توسعت هذه الجماعة توسع انتشار تأثير ما يتم عرضه على الجمهور وفي الأفلام التي تتناول الأوبئة يكون الجمهور المستهدف هو الجمهور الأمريكي المحلي والجمهور في باقي أنحاء العالم فأي وباء ما إن ينتشر لا يمكن التحكم في انتشاره إلا عبر الحلول المقدمة حسب الفيلم، وهو ذات الطرح الذي نجده في فيلم الحرب العالية زاد الذي تم عرضه لأول مرة سنة 2013 وإنتاجه من طرف "برامنت بيكترز" "وجي أف فيلمز"التي قامت بالإنتاج التنفيذي وكذا شركة "سكاي دانس بيكنرز"، وينقل الفيلم الذي يدور في عرضٍ مثيرٍ تعرض العالم لفيروس يحولُ الناس إلى وحوشٍ أو ما يعرف "بالزومبي"، أين يحاول "**جيري لان**"(وهو الدور الذي أداه الممثل براد بيت) إيجاد العلاج من خلال بحثه في كل أرجاء العالم (فلا حدود جغرافية في أفلام الأوبئة ونجد أن كل العالم ينتظر الحل الأمريكي فتفتح الحدود والحواجز أمام هذا البطل الخارق) للتحقيق في مصدر العدوى التي انتشرت في كل أنحاء العالم لفك لغز العدوى وإيجاد الحل أيضاً، واستعان المخرج بقصة عاطفية درامية تفرض على البطل إيجاد الحل حتى تبقى عائلته الصغيرة محمية في سفينة نجاة، ومن

خلال كل مشاهد الفيلم المبني على المغامرة استطاع المخرج أن يقدم فيلماً ناجحا محملاً برسائل ضمنية قوية كطبيعة هذا العدو الفيروسي الذي يهدد العالم وليس أمريكا فقط فيعطي بذا البعد العالمي سواء للجمهور المستهدف وللقصة وللحل لاحقاً الذي يقدمه بطل الفيلم الأمريكي وهي عقيدة الولايات المتحدة التي تريد الهيمنة بكل فواعل القوة الناعمة بما فيها السينما.

4-2- فيروسات الأوبئة "إيبولا":

إنَّ صناعة الهلع والخوف العالمي مقترنة مع أحداث يمكن أن تهدد الإنسان في وجوده بالدرجة الأولى والفيروسات الوبائية تعتبر من بين التهديدات التي يصنفها الإنسان بأنها خطيرة لاسيما تلك التي ليس لها علاج أو لقاح ففي أفلام الفيروسات مثلاً لا يوجب نص صريح يدعو للخوف والهلع لكن مشاهد الموت وانتشار الوباء وعدم وجود لقاح فعال مع مختلف المؤثرات التي يتم الاستعانة بها تجعل المشاهد يشعر بالخوف ولو مؤقت فكل هذه الدلالات القوية توحي باحتمالية تحقيق هذا السيناريو لاسيما و أن الفيلم يقدم معطيات حقيقة سواء ما تعلق بالأماكن الجغرافية أو المعطيات الديموغرافية "ويمكن أن تفسر أيضا نسبة ارتفاع المشاهدات للأفلام الوبائية بعد ظهور فيروس كورونا كفيلم "كونتاجيو" contagion إخراج ستيفن سبيلبرغ سنة 2011 وإنتاج أمريكي إماراتي والذي عرض على منصات رقمية متعددة إذ يتحدث عن فيروس انطلق من الصين وانتشر في العالم و"يفسر هذا ويضفي في الوقت نفسه مفارقة على المشهد السينمائي حين يراجع ما تناولته من قصص ذات علاقة بانتشار الأمراض والأوبئة، كوباء إيبولا وزيكا والطاعون والملاريا، فجل الأفلام الناجحة جماهيريا هي روائية معتمدة على سيناريوهات مرجعيات كتابتها علمية، لكن طريقة وأسلوب تناولها فيه حيز كبير للفانتازيا."[21]، وهو ما تم نقله عبر فيلم **outbreak** الذي تم إنتاجه سنة 1995 وتدور القصة حول فيروس إيبولا والذي بدأ من إفريقيا الشرقية وتحديداً الزائير سابقا" إذ تبدأ القصة من انتقال قرد من الكونغو الديمقراطية للولايات المتحدة الأمريكية حاملة لفيروس إيبولا فتصاب كل مدينة كالفورنيا بهذا الوباء، فيتدخل "عقيد" في الجيش الأمريكي لإيجاد مضاد حيوي وجوده مصنف سري من طرف بعض القيادات العليا (فالبطل هو عقيد

في الجيش الأمريكي فالحلول دائما تقدم من البطل الصالح الذي قد يتحدى الفساد داخل أعلى هرم للسلطة لينتصر الخير في النهاية دوما على يده) وكان الفيلم يعتمد على صناعة الخوف بالفنتازيا لرأي عام تم تغذية خوفها من إيبولا في سنوات التسعينات، وما يلاحظ في مثل هذه الأفلام الأمريكية هو التركيز على البناء الدرامي للقصة وكذا البطل الأمريكي في إيجاد حلول لإنقاذ العالم من كل المخاطر، بالإضافة لصنع حالة الهلع من هذه الأعداء الحقيقية والخيالية مع صياغة مبالغة فيها سواء في عدد الضحايا أو خطورة المرض، وهذه الأفلام تقدم صورة للتصور الأمريكي حول القوة الأمريكية من جهة وحول عقيدة التفوق والهيمنة التي تسعى لنقلها عبر مختلف الصناعات الإعلامية لاسيما الصناعة السينمائية، وما ذكرناه هو عينة مصغرة لكل الأفلام الأمريكية التي تحاكي هذه الهيمنة والتفوق.

5- الخاتمة:

إن السينما بتوصيفها أداة اتصال جماهيرية ينتظر منها أن تقوم بأدوارها المتعلقة بالترفيه التربية والتعليم، غير أن الظرف التاريخي والتطور التكنولوجي جعل منها واحدة من أخطر أدوات القوة الناعمة فباتت تكتب التاريخ وترسم المستقبل وتحكي أحداثاً يرويها المخرج، كاتب السيناريو، والشركات الكبرى للإنتاج والتي ترسم خططها وفق استراتجيات سياسية بالدرجة الأولى تهدف للهيمنة ولتقديم العقيدة والايدولوجيا الأمريكية بوجه خاص.

وبالخوض في موضوع السينما والفيروسات والأوبئة نستشف الاهتمام الذي ترصده سينما هوليوود في عرض وتناول مختلف الأمراض والفيروسات التي عرفتها البشرية وتناولت بكل جرأة وخيال مواضيع أخرى لفيروسات خيالية كالتي تحول الإنسان لميت حي، وفي ذات السياق تصنع السينما حالة الخوف والهلع باستخدام أسلوب المبالغة في توصيف الحدث، كما تقدم التصور الثابت للبطل الأمريكي الذي لا يقهر ويجد الحل والحلول بمفرده وينقذ العالم والبشرية، هذه الأوهام التي يتم الترويج لها تكبل بشكل ما المتلقي الذي يتابع السينما الأمريكية وتوطن فيه مخاوف إنسانية كالخوف والهلع، وتخصص لذلك ميزانيات هائلة وإمكانيات خيالية سواء مادية أو بشرية باعتمادها على وجود الأبطال الأكثر قبولاً وشهرة "النجوم" في تقديم إيديولوجية خفية لا تزال تحسب على أساس أنها تخدم الأمن القومي

الأمريكي، وفي ذات الوقت تكون بمثابة الصناعة المهمة التي تحقق مداخيل خيالية عبر العالم مقابل تقديم الفرجة والحلم والايدولوجيا في ذات الوقت، مع تحقيق أهدافها المتعلقة بعقيدة التفكير الأمريكي المستمد من فكرة "عظمة أمريكا"، كما أنَّ حالة الهلع والخوف العالمي من وباء كورونا تَحَقَقَ بشكل كبير من خلال الصناعات الإعلامية التي ركزت بشكل غير منطقي على خطورة الوباء وانتشاره وأضراره، فالسينما لا تدفعنا للتفكير فقط كما يؤكده جيل دلوز إذ "يحدد السينما كأداة تفكير فيقول تمنحنا القدرة على التفكير، إذ يقوم لإحداث نوع من الصدمة على مستوى الفكر، فتنتقل إلى الجهاز العصبي ذبذبات خاصة فكأنها تقول معي أنا الصورة–الحركة لن تستطيعوا أبدا الإفلات من هذه الصدمة التي توقظ المفكر النائم بداخلكم."[22] بل وبفضل قوة الصورة التي تطبع في عقل المتلقي يصبح مستعد لاتخاذ مواقف من كل المخاوف الإنسانية التي يخشاها الإنسان كالخوف مثلاً وسيؤمن بكل ما يمكن أن يزرع فيه الأمل والأمن ولو كان من خلال شاشات السينما.

الهوامش:

1- العماري الصديق الصادقي، ***سوسيولوجيا السينما: الصورة والمجتمع***، مجلة سينفيليا، العدد 19، سنة، 2019، المغرب، ص 16.

2- عبد الرحمن عزي، ***تجليات الخوف في الصحافة بناء الخوف وانكسار البنية القيمية في الصحافة العربية***، مجلة المعيار، العدد 12، 2006، الجزائر، ص 164.

3- وسام فاضل راضي، ***السينما الأمريكية والهيمنة السياسية والإعلامية والثقافية***، دار العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، مصر، ص 38.

4- المرجع السابق، ص 41.

5- مليكة بوخاري، ***السينما كفاعل استراتيجي لبناء ذاكرة عالمية بيهودية القدس: السينما الأمريكية نموذجاً، بن هور/الحرب العالمية زاد***، كتاب مشترك بعنوان: ***القدس قراءات الماضي والحاضر***، الطبعة الأولى، 2019، برلين ألمانيا، ص 128.

6- عبد الرحمن عزي، ص 164.

7- باية يووزة، ***سيكولوجية الاتصال الإقناعي***، تشيكو للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ص 128.

8- موقع أرقام: ***هوليوود.. عندما تتحول السينما إلى صناعة تدر ذهبًا لأمريكا***:2018/3/25، تاريخ الاطلاع: 2019/1/20.

https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/536724

9- الزهرة تيغرة، ***توسيع مشروع الهيمنة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001*** ، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 6، 2016 الجزائر، ص 137.

10- جريدة الشرق الأوسط، ***هوليوود... الاقتصاد الناعم الذي لا يستهان به***، تاريخ النشر: 5 أفريل 2018، تاريخ الإطلاع: 2019/1/12.

https://aawsat.com/home/article/1227466/%C2%AB%D9%87%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%88%D8%AF%C2%BB-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%84%D8%A7-%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%86-%D8%A8%D9%87

11- BRIGITTE Gauthier**, Histoire du cinéma américain,** Hachette, France 2006.

12- عبد الحق زغدار، سامية حجاز، ***دور الصناعة السينمائية الأمريكية في رسم معالم الصورة السلبية الإسلام***، مجلة المقدمة، العدد الأول، الجزائر، 2016 ص 47.

13- البيان، ***الأوبئة والأمراض بين سينما الحملات والمخاوف***، 2009/8/15، تاريخ الاطلاع: 2020/4/8: https://www.albayan.ae/five-senses/2009-08-15-1.465492

14- BRIGITTE Gauthier ; p 101

15- **سعاد ساكر**، *السينما والحرب: الوجه الآخر للسياسة*، **المجلة الجزائرية للدراسات السياسية**، المدرسة العليا للعلوم السياسية، الجزائر، العدد 1، ص 92.

16- BRIGITTE Gauthier, p 109.

17- البيان، ***الأوبئة والأمراض بين سينما الحملات والمخاوف***، 2009/8/15، تاريخ الاطلاع: 2020/4/8: https://www.albayan.ae/five-senses/2009-08-15-1.465492

18- قيس قاسم، الجزيرة سينما، ***السينما والأوبئة...توثيق حروب الإنسان الأزلية مع الفيروسات:*** 2020/7/11، تاريخ الإطلاع: 2020/10/12:

https://doc.aljazeera.net/cinema/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%85%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D8%AA%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%82-%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D8%A7/

19- Pierre SOELIN, ***Sociologie du cinéma*** ,AUBIER MONTAIGNE,Feance 1977 p 172**.**

20- الصديق الصادقي العماري، ***سوسيولوجيا السينما: الصورة والمجتمع***، مجلة سينفيليا، العدد 19،سنة، 2019، المغرب، ص 16.

21- Culture : quand les virus mortels fascinent Hollywood :21-10- 2014 : https://www.france24.com/fr/20141020-ebola-hollywood-ridley-scott-hot-zone-virus-contagion-zombies-cinema-us.

22-بن عزوزي عبد الله، ***السينما والفلسفة بين تركيب الواقع ومقاربة فوضى الحقيقة***، مجلة آفاق سينمائية، العدد الخامس، الجزائر، 2018، ص 75.

المراجع:

الكتب باللغة العربية:

1- باية يووزة، ***سيكولوجية الاتصال الإقناعي***، تشيكو للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ص 128.

2- سليمان الحقيوي، ***سحر الصورة السينمائية***، **خبايا صناعة الصورة**،دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،الأردن، 2013.

3- مليكة بوخاري، ***السينما كفاعل استراتيجي لبناء ذاكرة عالمية بيهودية القدس: السينما الأمريكية نموذجاً، بن هور/الحرب العالمية زاد***، كتاب مشترك بعنوان: ***القدس قراءات الماضي والحاضر***، الطبعة ألأولى، 2019، برلين ألمانيا الرقم الدولي: v33704.

4- وسام فاضل راضي، ***السينما الأمريكية والهيمنة السياسية والإعلامية والثقافية***، ، دار العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، مصر.

المقالات العلمية:

1- الزهرة تيغرة، ***توسيع مشروع الهيمنة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001*** ، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 6، 2016 الجزائر.

2- سعاد ساكر، ***اسينما والحرب: الوجه الآخر للسياسة***، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المدرسة العليا للعلوم السياسية، الجزائر، العدد 1.

3- الصديق الصادقي العماري، ***سوسيوجسا لبسينما: الصورة والمجتمع***، مجلة سينفيليا، العدد 19،سنة، 2019، المغرب.

4- عبد الحق زغدار، سامية حجاز، ***دور الصناعة السينمائية الأمريكية في رسم معالم الصورة السلبية الإسلام***، مجلة المقدمة، العدد الأول،الجزائر، 2016.

5- عبد الرحمن عزي، ***تجليات الخوف في الصحافة بناء الخوف وانكسار البنية القيمية في الصحافة العربية***، مجلة المعيار، العدد 12، 2006، الجزائر.

6- عبد الله بن عزوزي ، ***السينما والفلسفة بين تركيب الواقع ومقاربة فوضى الحقيقة*** مجلة آفاق سينمائية، العدد الخامس، 2018، الجزائر.

الكتب باللغة الفرنسية:

1- BRIGITTE Gauthier,***Histoire du cinéma américain*** , Hachette, France 2006.

2- Pierre SOELIN, ***Sociologie du cinéma*** ,AUBIER MONTAIGNE,Feance 1977.

مواقع الانترنت:

1- موقع أرقام: ***هوليوود.. عندما تتحول السينما إلى صناعة تدر ذهبًا لأمريكا***:2018/3/25، تاريخ الاطلاع: 2019/1/20.

https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/536724

2- جريدة الشرق الأوسط، ***هوليوود... الاقتصاد الناعم الذي لا يستهان به***،تاريخ النشر: 5 أفريل 2018، تاريخ الإطلاع:

2019/1/12.

https://aawsat.com/home/article/1227466/%C2%AB%D9%87%

D9%88%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%88%D8%AF%C2%BB-
%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-
%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%85-
%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%84%D8%A7-
%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%86-
%D8%A8%D9%87

3- البيان، ***الأوبئة و الأمراض بين سينما الحملات والمخاوف***، 2009/8/15، تاريخ الاطلاع: 2020/4/8: https://www.albayan.ae/five-senses/2009-08-15-1.465492

4- البيان، ***الأوبئة و الأمراض بين سينما الحملات والمخاوف***، 2009/8/15، تاريخ الاطلاع: 2020/4/8: https://www.albayan.ae/five-senses/2009-08-15-1.465492

5- قيس قاسم، الجزيرة سينما، ***السينما والأوبئة..توثيق حروب الإنسان الأزلية مع الفيروسات:*** 2020/7/11، تاريخ الإطلاع: 2020/10/12:
https://doc.aljazeera.net/cinema/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%85%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D8%AA%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%82-%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9/%86-%D8%A7/

6- Culture : quand les virus mortels fascinent Hollywood :21-10-2014 : https://www.france24.com/fr/20141020-ebola-hollywood-ridley-scott-hot-zone-virus-contagion-zombies-cinema-us.